جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم الجغرافية- الدراسات الاولية

عنوان المحاضرة

# التغيير الجغرافي وداعيه في الفكر الجغرافي

المرحلة: الرابعة

مادة: الفكر الجغرافي

مدرس المادة: م.د. حسين علاوي محمد

2024

## التغيير الجغرافي وداعيه

من بعد ان أفلح الاجتهاد الجغرافي ، الذي دفع او حرك مسيرة الفكر الجغرافي الحديث،واخذ بزمامها في الاتجاه الصحيح وبلور أهدافها، ومن بعد ان أفلح الفكر الحديث،الذي سخر الاجتهاد الجغرافي في ترسيخ مهمة علم الجغرافية إعتبارا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادى ، كان على علم الجغرافية الحديثة ، أن يحفز العمل أو الإنجاز الجغرافي، لكي يؤدي دوره الوظيفي التخصصي في النصف الأول من القرن العشرين هذا وما من شك في ان هذا الاجتهاد الجغرافي المتوثب. كان قد استوعب بكل الفطنة على المدى القصير، كل التحولات والتغيرات ،التي جعلت من الجغرافية علمًا متخصصًا ومتفردًا، يحتل مكانًا خاصًا بين سائر العلوم في الاطار العام الجامع لها. والمؤكد ان علم الجغرافية الحديثة قد سعى لتعديل مسيرة هذا الفكر في الاتجاه الصحيح ، وصولًا إلى ما هو افضل.

ومن الجائز أن تتصور كيف تولى الاجتهاد الجغرافي المتوثب تحريك هذه المسيرة الفكرية بأكبر قدر محسوب من التوازي والتوازن ، بين الوجهين الجغرافيين المتخصصين ،الطبيعي الكاشف عن الأرض وماهية الواقع الطبيعي في المكان ، والبشري الكاشف عن الناس وماهية الواقع البشري فيه ،تحريكًا رشيدًا متأنيا .وقد سجل الإضافات وأبدع الإنجازات واستوعب فحواها ،ولكن المؤكد أن هذا الإجتهاد المتوثب ،قد امتلك ناصية الحوافز التي أحسن أستخدامها ،من أجل تصعيد وأستمرار تحرك المسيرة الفكرية الرتيب ، لكي يطاوعه علم الجغرافية ،ويستجيب لحاجة العصر، وما ينطوى عليه من تطور وتغيير

وهكذا كآن المطلوب _يكل تأكيد_مزيدا من التطور والتجديد في الفكر الجغرافي وفلسفته الواقعية ،بالشكل الذي يجدد ويحدد الأهداف الأفضل للاجتهاد الجغرافي ، وهو يعمل لحساب الحياة. ومن ثم تعيين على هذا الاجتهاد أن يطوع علم الجغرافية تطويعآ بالشكل الذي يحسن ويكثف الأداء الوظيفي التخصصي الجغرافي ، وهو يجاوب إرادة التطلع الى الأفضل في خدمة مسيرة الحياة ،التي تتسيد على الأرض ، وتنتصر لمصيرها الأفضل في ربوع الأرض .

ومن أجل دفع عجلة التطور وعمليات التجديد والتجويد في الفكر الجغرافي ، ومن أجل تكثيف وتطويع الخبرة الجغرافية الأحسن لحساب الحياة ، ومن أجل تصعيد كفاءة الجغرافية وتحسين جدوى البحث الجغرافي في أحضان المكان.من أجل ذلك كله، كان من الضروري ان ينعطف الفكر المعاصر انعطافا باحثًا عن نقطة التحول ، التي يمتلك عندها أو يتخد بموجبها القدرة،على صياغة الجغرافية العلمية الأنسب لروح العصر، وأراده الحياه الأفضل فيه. وهذا معناه من غير شك أن تولدت في إعطاف الفكر الجغرافي الحديث ،في اثناء سنوات النصف الأول من القرن العشرين ، قوة الدفع التي نشطت وأثارت واستنفرت وفجرت في فلسفته الواقعية إرادة التغيير لحساب التجديد والتجويد ،والاخذ بمنطق وروح العصر ومعناه أيضا ان هذا الفكر الجغرافي الحديث ،الذي لا ولم ولن يكف عن حسن ترشيد الاجتهاد الجغرافي،

وتوظيفه في اتجاهات اكثر واقعية ،واكثر استجابة لأرادة الحياه المتطورة ، وقد حمل في احشائه بنته التغيير وروح التجديد وأرادة التجويد ،وتطلع الى مخاض يسفر عن شكل جغرافي معاصر وفي اعتقادي على كل حال – آن الحصاد المفيد والانجاز الذي أنجزته الجغرافية الحديثة ، في النصف الأول من القرن العشرين ، قد جاوب الفكر الجغرافي الحديث وطاوعه وأثراه وأرضاه. ولكن الأهم من ذلك كله أنه قد نمى في هذا الفكر نبته التغيير الكامنة في أحشائه ،واستنفر فيه روح التجديد ، وفجر فيه إرادة التجويد .ولأن الجغرافية تتزود من هذا الفكر وتنهل من معين فلسفته وتجاربه ، فلقد اكتسبت قوة الدفع وقدرات التغيير ، على طريق التجديد والتجويد.هذا وما من شك في أن علم الجغرافية قد سخر هذه المكتسبات ووجه الاجتهاد الجغرافي وحفر أدائه الوظيفي التخصصي ونشطه لحساب هذا التجديد والتجويد في وقت واحد وبكل المهارة والكفاءة ، استجاب الاجتهاد الجغرافي لقوة الدفع المكتسبة ، وأسفر عن تجديد في العطاء والانجاز ، وعن تجويد في الأداء والعمل ، وفي الحالتين أتسم التجديد والتجويد الجغرافي ، بمزيد من المرونة ،والموضوعية ، والعمق والواقعية في خدمة الحياة.

وفي اعتقادي أيضا آن المرونة والموضوعية والعمق والواقعية ، قد أوصلت العمل الجغرافي والانجاز المجدد الى نقطة التحول الحقيقية.وعندئذ قفزت الجغرافية قفزتها الحقيقية ،وأطلقت عنان الاجتهاد الجغرافي المتوثب ،ومن جمود النظرية البحتة وقيودها ، الى مرونة التطبيق الهادف وتحرره.

وهذا معناه آن التحول الذي ساق الفكر الجغرافي في طريق التغيير ، وفجر فلسفته الواقعية التي واكبت روح العصر لايكاد ينبئ بطفرة . بل إنه وليد نبتة التغيير في أحشاء هذا الفكر ولقد تبنى الاجتهاد الجغرافي هذا الوليد ، وأولاه الرعاية ، وهو يستشعر الحاجة العصرية أليه.ولقد تمثلت هذه الحاجة العصرية ،في أداء وظيفي تخصصي تطبيقي رشيد ، لكي يربى الخبرة الجغرافية ويبصرها وينمى قدرتها ،وهي تخدم مسيرة الحياة ، وتبصر عمليات التفاعل الحياتي ، لحساب الحياة الأفضل على الأرض في المكان والزمان.

هذا ، وكان من الطبيعي ان يتحرر هذا الفكر المعاصر، الذي أسفرت عنه إرادة التغيير، من كثير من القيود والالتزامات التي فرضتها الأهداف العتيقة ،التي كان قد تبناها وتطلع إليها الفكر الجغرافي الحديث. بل وكان من الطبيعي آن يجسد الفكر الجغرافي المعاصر اهداف وغاياته ، وأن يلتزم الاجتهاد الجغرافي بها التزامًا موضوعيًا ومنهجيًا ، في إطار الأداء الجغرافي التخصصي العامل لحساب الحياة.

والجغرافية كوعاء احتوى الفكر الجغرافي وإلتزم بفلسفته وأهدافه ، وهو حديث في مراحل متوالية ، أو وهو معاصر في الوقت الحاضر ،قد برهن دائمًا على كفاءة وقدرة في مطاوعة هذا الفكر وإحتوائه والاستجابة له .بل لقد سخر علم الجغرافية الحديثة الاجتهاد الجغرافي المتخصص والزمه بمشيئة أو إرادة الفكر الجغرافي الحديث وفلسفته ، سواء وهو يحقق أهدافه هذا الفكر ، او يثريه ،أو وهو يعظم جدواه.

او وهو يجدد إنجازه ،ويجود أدائه ، اعتبارًا من نهاية القرن التاسع عشر .ومن ثم سار علم الجغرافية المعاصرة على نفس الدرب وألتزم بتطويع الاجتهاد الجغرافي لإرادة الفكر الجغرافي المعاصر وفلسفته ،سواء وهو ينمى ويحسن الأداء الوظيفي التخصصي أو وهو يضيف الإنجازات المجددة المفيدة.وهذا

معناه آن علم الجغرافية يعرف كيف يطوع نفسه وكيف يطاوع الفكر الذي يعمل لحسابه. ومعناه أيضًا ان علم الجغرافية المعاصر قد جاوب أرادة التغيير والتحول الذي انتهى إليها الفكر الجغرافي المعاصر

**وعن المعركة الأولى** ، ينبغي ان نتصور مسألة الصراع الفكري الجغرافي ، التي تأتت عل المدى الطويل منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.ولقد احتدم هذا الصراع الفكري الجغرافي بين فريقين من المفكرين الجغرافيين ، الذين اسهموا بفكرهم في صياغة فلسفة الفكر الجغرافي الحديث ، وباجتهادهم الموضوعي في صياغة وترسيخ الجغرافية الحديثة ترسيخًا علميًا لحساب الحياة.وربما كانت البداية هادئة ، عندما تطلع فريق الى التركيز على دراسة الأرض وتوجيه اقل اهتمام الى وجود الانسان على هذه الأرض ، وخالفهم فريق اخر وتطلع اكبر قدر من التوازن الموضوعي بين الاهتمام الجغرافي بالأرض ، وهي تحتوي الناس ، وبالناس وهم يتسيدون علي الأرض في وقت واحد ة

هذا وسرعان ما تحول هذا الجدل الموضوعي وتصاعد ، وإتخذ شكل الصراع الفكري بين فلسفتين متناقضتين ومتضادتين.ولقد تبنى فريق متشائم فلسفة اقتصادية فكر متزمت كبل إرادة الأنسان ،وسلم زمام مصيرة واستسلم ، لكي تتقدم مسيرة الحياة ،على هوى وإرادة ما يمليه الواقع الجغرافي الطبيعي من حوله في الأرض. وتبنى الفريق الاخر فلسفة فكر متسيب حرر إرادة الانسان وسلمه زمام مصيره، لكي تتقدم مسيرة الحياة على هوى وإرادة انتصاره ، على تحديات الواقع الطبيعي من حوله في الأرض.

ومن خلال الجدل الفكري والنقاش الموضوعي المكثف ،الذي اسهم فيه الفريقان المتضادان من المفكرين الجغرافيين ، بشأن تجسيد محصلة المواجهة ، التي طالما وضعت الإنسان في مواجهة التحديات ،وهو يتفاعل ويكد وينتصر لارادة الحياه وتقدمها ، كانت النتائج التي توالت وأوصلت الفكر الجغرافي الحديث ألى نقطة التحول.

ونقطة التحول معناها الظاهر ان يختار الفكر طريق الفلسفة المتزمتة ،ويتمادى في تصور انصياع إرادة الحياة للأرض ،آو يختار طريق الفلسفة المتسيبة ،ويتمادى في تصور انصياع الأرض لإرادة الحياة .ولكن معنى نقطة التحول الحقيقي،ان يجد الفكر الجغرافي من يخرجه من مأزق الاختيار وان ويرشده الى فلسفة اكثر واقعية ، لا تستغرق في التزمت،ولا تتمادى في التسيب.

**وفريق الحتم** من الجغرافيين كان فريقًا صارما،وعلى رأسهم ديمولان وسمبل .ولقد جذب انتباه هذا الفريق تصور غريب كبل إرادة الحياة . ولقد انغمس هذا الفريق في ألحتم والتأكيد على مدى انصياع الحياة ، أو مدى إمتثال الانسان واستسلامه لإرادة الواقع الطبيعي وضوابطه من حوله في أي مكان .ومن خلال نظرة متزمتة ،وضع هذا الفريق الأنسان ونشاطه وتاريخه وحياته وأنماط معيشته في أي مكان ، في إطار الحتم . ومن شأن هذا الحتم ان ينتصر للتصور الذي يفترض انسياق الانسان ، وراء ماتمليه الضوابط الطبيعية ، والتزامه بما تهمس به الطبيعة في أذنه لكى يواجه هذه التحديات ، ويحل عقدتها المستعصية ، لحساب تقدم مسيرة حركة الحياة .

وما من شك في أن هذا الفريق الذي روج للحتم الجغرافي ، قد اثار قضية فكري جوهرية، وخاض تجربة بحثية طويلة وصعبة في سبيل الترويج لها أو الدفاع عنها. وكان من شأن هذا الفريق الذي افتتن بتأثير

البيئة ،أن يتصور ويجسد قوة الضواغط البيئية التي تضغط على الحياة بل لقد تصور أن حركة الحياة تتأتى من خلال العجز وعدم القدرة على معاندة أو توقيف أو تخفيض معدلات هذه الضواغط البيئية.. ومعنى ذلك – بكل تأكيد – فرض إرادة وقوة هذه الضواغط البيئية على الانسان ، والاستهانة أو الاستخفاف بقدراته على احباط أو ابطال أو تطويع مفعول التحديات التي تضغط وتفرض قوة الضواغط البيئية ضد إرادة الانسان على الحياة ،ومعنى ذلك أيضًا أنه بمقدار ما تكون الضواغط البيئية ،

**وفريق الامكانية** الذي قاده لوسيان فيفر وبلاش كان فريقًا متفائلًا بالإنسان ومؤمنا بقدراته .ولقدرة هذا الفريق التيار الفكري المعارض للحتم الجغرافي ، في مطلع القرن العشرين.ولم يقف اجتهاد هذا الفكر المعارض عند حد الرفض فقط ، بل تمادى في نداء يعلن احترام وتقدير كفاءة الانسان وقدراته .

بل ولم يقبل هذا الفريق منطق الالتزام والانصياع والاستكانة ، لما يمليه الواقع الطبيعي في البيئة ، أو لما يمكن أن تهمس به البيئة في أذن الانسان ،لكي يطوع ذاته وأسلوب حياته للبيئة ويطاوعها .

وهكذا رفض فريق الامكانية الذي انتصر لاراده الحياة، وقدر كفاءات الانسان مسالة القوانين الطبيعية التي بناها الفكر الجغرافي الحتمي على تعميمات ، وحاول ان يطبقها من غير وعي، أو ادراك لمواهب الآنسان.بل لقد أستشعر ان هذه التعميمات قد تنطوي على مغالطات تنطلي على ذوي الغفلة فقط . ومن ثم انطلق تفكير هذا الفريق الذي حرر إرادة الانسان الى الاجتهاد الجغرافي المكثف ،لكي يتلمس ويستشعر ويجسد مدى كفاءة وقدرات ومواهب الانسان وهو ينتصر لإرادته وحياته على الضواغط البيئية.

هذا وتتحرى **التعادلية** استشعار الضوابط الطبيعية ،وهي نتيجة لقوة فعل عناصر الطبيعة المتداخلة في توليفة المنظور الجغرافي الطبيعي اللارض . كما تتحرى أيضًا هذه التعادلية استشعار الضوابط البشرية ، وهي نتيجة لقوة فعل إمكانيات وقدرات ، وهي متداخلة في توليفه المنظور الجغرافي البشري اللانسان.

وتحسب ا**لتعادلية** حساب التغيير يتأتى عندما يشتد عود الأنسان وتتطور قدراته

فيبادر الى تحريك النقطة الفاصلة بين المباح وغير المباح لحسابه او أو حساب تعامله الأفضل .كما تحسب هذه التعادلية حساب التغيير الذي يتأتى عندما تتغير خواص الأرض ،وتباغت الانسان وتبادر بتحريك النقطه الفاصلة بين المباح وغير المباح لحسابها ،وخصما منً حساب الانسان.

ولقد أضيف هذا **التقييم الجغرافي** الى التوزيع والتعليل والربط من اجل صياغة وتكامل البحث الجغرافي وصولًا الى أهدافه. بمعنى آن الاجتهاد الجغرافي الذي حدد مسيرة البحث الجغرافي من خلال التوازن والتعليل والربط . استجابه لصياغه البحث كما أراد له الفكر الجغرافي الحديث ان يكون ، قد أضاف التقييم الجغرافي لكي يتكامل ويتعمق البحث في أحضان الفكر الجغرافي المعاصر .

بمعنى ان قضية التقييم الجغرافي التي اسفرت عنها ملحمة الابداع الفكري بين الحتميين والامكانيين ، أصبحت العلامة التي بشرت بالتجديد والتجويد .ولقد نقلت الفكر الجغرافي الى أحضان فلسفة جديدة ،لكي يطوع العمل الجغرافي العلمي فيساير ويجاوب العصر

ومن الجائز ان يكون التقييم الجغرافي نقطة تحول ، حيث أنهى فلسفة ومنطق ومهمة الفكر الجغرافي الحديث ، وحيث حمل الفكر الجغرافي المعاصر مسؤلية فلسفة ومنطق ومهمة متجددة. ومن الجائز ان اصبح التقييم الجغرافي نقطة تحول ، يبدأ من عندها الامل

لكي يتحول العمل الجغرافي من جمود النظرية الى مرونة التطبيق.

ولكن المؤكد ان الاجتهاد الجغرافي لم يوسع قاعدة استخدام التقييم الجغرافي ، ولم تقتحم مجالات التطبيق في اطار فلسفة ومنطق الفكر الجغرافي المعاصر . الا من بعد صيحات وصيحات تصاعدت هنا وهناك ، والحت وطلبت من الجغرافية ان تقتحم مجالات التطبيق

وقل آن هذا التحويل الذي تأتي، وقد هيأ العمل الجغرافي لان يقتحم ميادين العمل التطبيقي ، وقد أدى الى انهاء مرحلة الوصف الجغرافي التصويري التفسيري ،لكي تبدآ مرحلة الوصف الجغرافي التصويري التفسيري التقويمي. بمعنى ان اصبح الجغرافي معنياً

بثلاثة اهتمامات هي :

١–معاينة وملاحظة الصورة أو المنظور الجغرافي الطبيعي او البشري والتدقيق في العناصر المتداخلة في توليفة .

٢–تحري التفسير او التعليل الذي يفسر ما تتحدث به وعنه الصورة الجغرافية، وتداعيات العلاقة بين عناصرها .

٣_التمعن في عمق التعبير الذي تنطق به وتعبر عنه الصورة الجغرافية ، والتماس التقويم الجغرافي الذي يحسب حساب جدوى الابعاد المشتركة في صياغة وتكوين الصورة في المكان والزمان

**والتقييم الجغرافي انطلاقة التغيير :**

**والتقييم الجغرافي** عندما اضيف الى التوزيع والتعليل والربط ، قاد الاجتهاد الجغرافي في

أسلوب بحث موضوعي اكثر عمقا.بل لقد فتح هذا التقييم الجغرافي بابًا.لكي يجد الاجتهاد الجغرافي سبيلًا واضحًا لقياس وحساب الجدوى .بشأن الظاهرة الجغرافية التي يعالجها البحث الجغرافي لحساب حركة الحياة. وما من شك في ان مسألة الجدوى ، هي نقطة الانطلاق الجغرافي انطلاقا متحررا من جمود النظرية البحتة الى مرونة التطبيق . ومعنى ومرونة التطبيق ان تشترك الخبرة اشتراكًا مباشرآ وفعالا مع زمرة العالمين الباحثين في المجال التطبيقي . الذي ينفع الحياة ويبصر حركة الحياة في الاتجاه الأفضل.

ومن شأن تقييم الظاهرة الجغرافية المعنية وحساب الجدوى ، أن يكون _بكل تأكيد _لحساب الانسان. بمعنى انه عمل موضوعي ، يتولى تأكيد حق الأنسان ومصلحته في كل ماتحتويه الأرض. والا فلمن يكون هذا الذي تحتويه ، اذا لم يكن _بالفعل _ حقًا اللانسان الذي له مكان السيادة ومكانة التفوق على الأرض